قراءة في واقع المعتزلة زمن الدولة العباسة من خلال المصادر التاريخية

د. امحمد أبولقاســـــم المزوغي * - كلية الآداب واللغات - جامعة طرابلس

تاريخ الاستلام 2 / 1 / 2025م تاريخ القبول 3 / 6 / 2025م

A Study of Mu'tazilism during the Abbasid Era through Historical Sources

Dr* . Emhammed A. Al Mazoghi* - Faculty of Arts and languagesUniversity of Tripoli

Abstract

The research addressed one of the most important topics in the intellectual field during the Abbasid Era, namely the mu'tazila and mu'tazila and their relationship to the events in that time, and their significant impact on the movement of the state and society. This reality crystallized many intellectual concepts and orientations, each of which relied on a set of historical and philosophical coordinates to establish its perhaps historical coordinat are considered the strongest reliance through which the truth of this relationship can be determined ,Therefore,in this research ,we saw it necessary to take a purely historical and important stand to follow this realiy and understand in one of the most rich stages of lslamic history in terms of transformations,intellectual, pollical,and religious.

Keywords: Mu'tazila,al Ma'mun,the origins of Mu'tazila,Mu'tazila sects

الملخـــــــــص:

تناول البحث موضوعاً من أهم مواضيع الساحة الفكرية زمن الدولة العباسية وهو موضوع المعتزلة والاعتزال وعلاقتهم بواقع الأحداث وأثرهم الفاعل في حركة الدولة والمجتمع، وهو واقع بلور العديد من التصورات والتوجهات الفكرية التي اعتمد كل منها على جملة إحداثيات تاريخية وفلسفية لتأسيس تصورها للمسألة. ولعل الإحداثيات التاريخية تعتبر أقوى الاعتمادات التي يمكن من خلالها الوقوف على حقيقة هذه العلاقة.

لذا رأينا في هذه البحث أن نقف وقفة تاريخية بحتة ومهمة لمتابعة هذا الواقع وفهمه في مرحلة من أشد مراحل التاريخ الإسلامي إثراء بالتحولات الفكرية والسياسية والدينية

الكلمات المفتاحية: الدولة العباسية. المعتزلة. المأمون. أصول المعتزلة. فرق المعتزلة

توطئة :

تعددت وتباينت الآراء حول أصل هذه التسمية وكذلك تحديد الاسم الحقيقي للمعتزلة، حيث وضعت تفسيرات كثيرة واختلف الباحثون في ذلك إلا أن الأقرب إلي الصواب ذلك التفسير الشائع الذي أوردته أغلب المصادر التاريخية والأدبية التي اتسمت بالثقافة الإسلامية والفكر المعتزلي، حيث تتفق أغلب تلك المصادر أن اسم المعتزلة ظهر بعد القصة المشهورة التي اعتزل بها واصل بن عطاء[1] مجلس أستاذه الحسن البصري [2] حول اختلافهما في مسألة مرتكب الكبيرة.

وقد أفاد كتّاب الفرق كالبغدادي ، والشهرستاني والرازي ومن على شاكلتهم أن كلمة (الاعتزال) كما يري البغدادي [3] لفظ أطلقه أهل السنة على المعتزلة للتدليل على أنهم انفصلوا عنهم وتركوا مشايخهم القدامى، واعتزلوا قول الأمة بأسرها في مرتكب الكبيرة من المسلمين وتقريرهم أنه لا مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين منزلتي الإيمان والكفر. أما الشهرستاني [4] فيقول "دخل رجل على الحسن البصري، فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان ، بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا؟ ففكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلقا، بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر ثم قام واعتدل إلي أسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، قال الحسن اعتزل واصل، فسمي هو وأصحابه المعتزلة.

ويحبذ المعتزلة مناداتهم بأهل الحق، لأنهم كانوا يرون في أنفسهم أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأنهم على حق وغيرهم على باطل [5]" إلا أن معارضيهم كانوا يطلقون عليهم أسماء عديدة لا يرغبها المعتزلة ومن هذه الأسماء:

الجهمية:

وذلك نسبة إلي رئيسهم جهم بن صفوان [6] وهو من الجبرية وكان صاحب مجادلات ومخاصمات في مسائل الكلام [7] وباعتبار أن الجهمية سبقت المعتزلة في الظهور جاءت المعتزلة بعدها وتأثرت ببعض أفكارها واتفقت معها في كثير من الآراء مثل نفي الصفات والقول بخلق القرآن ، وأن الله لا يري يوم القيامة [8] ومعنى هذا أن

المعتزلة هم امتداد للجهمية لذلك يطلق على كل معتزل جهمي وليس العكس.
إلا أن المتبع لكتب التراث العربي أو الفقه الإسلامي يلاحظ أن أئمة الأثر عندما يستخدمون اسم الجهمية إنما يعنون المعتزلة، لأنهم كانوا في المتأخرين أشهر بهذه المسائل من الجهمية[9].

القدرية:

يلقب المعتزلة كذلك بالقدرية أي أن الإنسان له قدرة على أعماله وأن الله ليس له فيها صنع ولا تقدير، غير أن المعتزلة لا يرضون بهذا الاسم باعتبار أنهم غير قابلين بالقدر خيره وشره من الله سبحانه وتعالى"[10].

ويري ابن قتيبة أن المعتزلة نفوا القدر عن الله وأضافوه إلى أنفسهم، فوجب أن يسموا قدرية لأن مدعى الشيء لنفسه أحق أن يدعى به[11].

النفاة والمعطلة:

وذلك ومعناه لنفيهم وتعطيلهم صفات الباري، ومن معاني التعطيل أيضا تعطيل ظواهر الكتاب والسنة عن المعاني التي تدل عليها". [12]

والمتتبع لتاريخ وفكر هذه الفرقة يلاحظ تعدد الأسماء التي أطلقها الغير على المعتزلة، وعليه أن المعتزلة كانوا يفضلون أن ينعتوا باسم المعتزلة لذلك راحوا يدافعون عن هذا الاسم بعد أن ثبت عليهم فبدأوا يبرهنون على فضل هذا الاسم وإنه صفة مدح وليس صفة ذم ، وبرهنوا على ذلك بتفسير بعض الآيات القرآنية للفظ الاعتزال أي معني من معانيه لغويا ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا**﴾ [13].

كما أن من الأسماء التي يحبذها المعتزلة وصفهم وتسميتهم بأهل العدل والتوحيد، ومن يطالع كتاب الانتصار للخياط يلاحظ أن في كلامه عن المعتزلة لا يستعمل إلا هذين الاسمين: المعتزلة، أو أهل العدل والتوحيد. [14]

وهناك من يرى أن المعتزلة هم الذين أطلقوا هذا الاسم على أنفسهم ومن هؤلاء ابن المرتضى [15] الذي يقول: "... وأنهم لم يخالفوا الإجماع ، بل عملوا بالمُجمع عليه في الصدر الأول ورفضوا المحدثات المبتدعة".

وذهب الباحثون في هذا الفكر في وضع مبررات لهذا الاسم الذي اقترن بتلك الفرقة أو المدرسة الفكرية ، فيري بعض الباحثين أن اسم الاعتزال يرجع إلي سريان نزعة زهد بينهم واعتزالهم الناس. [16]

أما ابن المرتضى وجماعة معه ، فيذكرون : أن الذي سماهم بهذا الاسم هو المحدث المشهور قتادة بن دعامة السدوسي وكان من علماء البصرة، وأعلام التابعين ، ومن أصحاب الحسن البصري ، دخل يوم مسجد البصرة وكان ضريرا، فإذا بعمر

بن عبيد ونفر معه قد اعتزلوا حلقة الحسن البصري وكونوا لهم حلقة خاصة، وارتفعت أصواتهم ، فأمهم وهو يظن أنهم من حلقة الحسن، فلما عرف حقيقتهم قال : "إنما هؤلاء المعتزلة، فسموا معتزلة من وقتهم". (17)

ويذكر ابن المرتضى (18) كذلك ما يحتج به المعتزلة للاعتزال أي لفضله وأنه استمرار لما كان عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم – وصحبته ، وقد لحقهم هذا الاسم بسبب اعتزالهم الشر . لقوله ﴿ **وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ** ﴾ (19).

ظهور الفكر الاعتزالي وانتشاره:

تجمعت عدة عوامل أسهمت في ظهور الفكر الاعتزالي وانتشاره ووجود له مؤيدين وأتباع إلي هذا الوقت، وهذه العوامل متعددة ومتنوعة أهمها في الآتي :

1- التأثر بالثقافات الأجنبية:

ظهر المعتزلة في بداية القرن الثاني الهجري في مدينة البصرة التي كانت في ذلك العصر مجمعا للعلم والأدب في الدولة الإسلامية حيث تشبعت الحياة الأدبية والفكرية بأجواء آثار الثقافات الأجنبية، حيث كانت البصرة آنذاك موضعا يلتقي فيه أتباع الأديان المختلفة المنتشرة آنذاك. (20)

وقد أسهم وجود تلك الثقافات والديانات بتأثر كثير من المسلمين بما تحمله من أفكار وقد أسهمت ترجمة أعداد كبيرة من الكتب الأجنبية إلي وجود هذه الثقافات التي أثرت في عقول بعض المسلمين لاسيما وأن من دخل إلي الإسلام من تلك الأمم والديانات كان يحمل معه كثيرا من المعتقدات التي تثير الجدل حيث وجد المسلمون أنفسهم يخوضون في مسائل عقدية. (21) وكان من بين الذين تأثروا بمثل هذه العقائد بعض الموالي الذين أسندت إليهم أعمال الدواوين، وكانوا من خلال توليهم هذه المناصب الإدارية وتواجدهم بين العرب المسلمين وارتيادهم المساجد ، كانوا من خلال كل هذا يجادلون في كثير من المسائل العقدية التي نهى عنها علماء السلف الصالح مثل خلق القرآن، والقدر، وغيرها من المسائل الأخرى التي رأى المعتزلة أن يدرسوها ويجدوا لها حلولا يقبلها الناس، ولعل أبرزها مسألة مرتكب الكبيرة ، ونفي الصفات عن الخالق.

2- مناصرة الخليفة المأمون لهم:

ما لا شك فيه أن للمعتزلة دورا كبيرا في إثراء الحياة الفكرية في العصر العباسي ويجب أن لا نغض عليه النظر مهما كانت الاختلافات مع ما طرحوه من أصول ومبادئ.

ومن المفيد قبل التطرق إلي الدور الذي قام به المعتزلة في إثراء وتطوير الحياة

الفكرية في عهد المأمون أن يوضح الباحث أنه لن يتعرض في توضيح هذا الدور وتقديره بشكل تفصيلي أو بشكل عام يشمل فترات حكام خلفاء بني العباس قبل المأمون أو بعده وذلك لغزارة المادة وتتابع الأحداث كما أنه من المفيد توضيح أن ذلك الدور الذي قام به المعتزلة بإيجابياته وسلبياته ما كان ليتم لولا اعتناق الخليفة المأمون للمذهب الاعتزالي عن طريق بشر المريسي[22] وثمامة بن أشرس [23] وأحمد بن أبي دؤاد [24] حتى أعلن الاعتزال المذهب الرسمي للدولة ، قام بإجبار الناس على الأخذ بأفكار ومبادئ المعتزلة .وألتف رجال الاعتزال حول المأمون الذي مال للأخذ بمذهبهم لاسيما وأنهم وجدوا فيه الخليفة العالم المهتم بالفلسفة وكافة العلوم لذلك كانت مكانتهم من مجلس المأمون أقرب من غيرهم من الفقهاء، وأصحاب الحديث ، لأنهم أقرب إلي طبيعته العلمية الفكرية.كان هدف المأمون خلال تلك المجالس تقريب المسافة بين المعتزلة وجمهور الفقهاء[25]

ويبدو تأثر المأمون واضحاً بمؤيديه منذ أن كان صغيرا من خلال تقريبه للمعتزلة حتى أنه ذهب إلي ما ذهب إليه من أن القرآن مخلوق لذلك عمد إلي تسخير قوة الدولة في إرغام الناس على القول بخلق القرآن ولم تتضح معالم اعتناق المأمون لمبادئ المعتزلة إلا في الفترات الأخيرة من سنوات حياته. [26]

3 ـ دراسة الفلسفة :

كان المعتزلة أول من استعان بالفلسفة اليونانية ، واستقوا منها في تأييد نزعاتهم ، فأقوال كثيرة من أقوال النظام وأبي الهدي والجاحظ وغيرهم من المعتزلة بعضها نَقْل بحث من أقوال فلاسفة اليونان ، وبعضها يستقي من نَبْعه بشيء من التحوير والتعديل [27] ، فراحوا يرتبون أصولهم ومبادئهم على أصول فلسفية كي يضعوا أنفسهم أمام الآخرين كمدرسة أو فرقة لها من البراهين والحجج والاستدلالات ما تنفع به الغير .

ويبدو أن العامل الرئيس في توجه المعتزلة إلي دراسة المنطق والفلسفة كان عن طريق حركة الترجمة ، وكان أول معتزلي استفاد من تلك الكتب المترجمة (إبراهيم النظّام) [28] الذي طالع ـ كما يروي الشهرستاني [29] ـ كثيرا من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة . إلا أن دراسة الفلسفة أدت بالمعتزلة – كما يري عواد المطلق [30] – إلي ابتعاد المعتزلة عن أهدافهم الدينية، وذلك بتوجههم وانصرافهم إلي البحث عن المسائل الفلسفية البحتة كالحركة والسكون والجوهر و العرض والوجود والعدم والجزء الذي لا يتجزأ".

ويمكن القول : إن دراسة المعتزلة بشغف للفلسفة اليونانية وإطلاعهم على ثقافات الأمم الأخرى جعلهم يتميزون عن غيرهم بالجدل والمناظرة، وجعلهم أبرز

فرقة مسلمة تقف أمام الفلاسفة المعادين للإسلام وهذا مما رفع من شأنهم وزاد في شهرتهم.

كما أن تأثر البعض بأفكار المعتزلة فيما بعد وإطلاعهم على كتبهم جعل الفكر المعتزلي حاضرا إلي يومنا هذا وله دعاة مؤيدون، مما زاد هذا كله في بقاء أقوالهم وشهرتها وجعلها مادة للبحث والدراسة. (31)

مبادئ وأصول المعتزلة :

وضع المعتزلة لأنفسهم خمسة أصول ومبادئ يمكن أن يطلق عليها أيضا أسس وهذه بمثابة مرتكزات يكاد يشترك فيها كل من اتبعهم وآمن بفكرهم وكل من كان على شاكلتهم ممن يخوضون في مثل هذا الفكر "فمن وافقهم فكان منهم ومن خالفهم فليس منهم". (32) ومن الضروري أن يجمع المعتزلي – من منظورهم – الجمع بهذه الأصول وهي : (التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) قال القاضي عبد الجبار: " إن المكلف إذا عرف هذه الأصول يلزمه معرفة الفقه والشرع". (33)

وعليه نقدم شرحا موجزا لهذه المبادئ والأصول والاعتقادات التي ينضوي تحتها مذهب المعتزلة :

1) التوحيد :

وجه المعتزلة جهدهم للتركيز حول هذا المبدأ. فالتوحيد في فكرهم يدور حول ما يثبت لله وما ينهي عنه من الصفات، أي قصدوا به نفي الصفات القديمة، فقالوا بوحدة الذات والصفات، أي أن ذات الله وصفاته شيء واحد، فأنكروا أن يكون لله – سبحانه وتعالى – صفات غير ذاتية. (34) بمعني أن الله متقطع الشبه في أي شيء وكنتيجة لنفي الصفات نفى المعتزلة أن يكون القرآن صفة من صفات الله، وقالوا بأن القرآن مخلوق" وكان واصل بن عطاء ينفي الصفات معتقدا أن إثباتها يؤدي إلي تعداد القدماء، وذلك شرك، ولذا كان يقول: "إن من أثبت لله معني وصفة قديمة أثبت إلهين". (35)

وعليه فأن مسألة التوحيد تعد من أبرز المبادئ والأصول التي حظيت بمناقشات وجدال فكري لأن من خلال استدلالهم الفعلية والتزامهم بنفي الصفات أدي بهم ذلك إلي اعتقادهم بخلق القرآن والي عدم رؤية المؤمنين لله سبحانه وتعالى يوم القيامة وإلي نفي استواء الله على عرشه ولعل مثل هذه القضايا الفكرية لعبت دورا كبيرا في وجود نقاش فكري ومناظرات، استمرت إلي قرون كثيرة وأثرت في الحياة الفكرية خاصة في العصر العباسي الأول.

وتروي المصادر التاريخية أن الجعد بن صفوان كان أول من تكلم في الصفات في الإسلام حيث نفاها وقال بخلق القرآن. [36]

واتفق المعتزلة على مسألة خلق القرآن يقول صاحب الملل والنحل، أن الجهم ابن صفوان أخذ بمبدأ أو مسألة خلق القرآن من الجعد بن درهم، فانتشرت في خراسان" [37] وبذلك اتفق المعتزلة على أن كلام الله مخلوق، وذلك لنفي أي قديم سوى الذات الإلهية، ومقاومة لما كان النصارى يفشونه بين المسلمين من القول بقدم الكلام إثباتا لإلوهية المسيح الذي هو كلمة الله القديمة. [38] "ويري كثير من الباحثين في الفكر المعتزلي أن قضية خلق القرآن مستمدة من النصارى الذين يؤمنون بقدم الكلمة، يؤكد هذا الافتراض أو الرأي ويجعل له شيئا من المصداقية والقيمة ما ذكره المأمون في كتابه في خلق القرآن الذي أرسله من الرقة إلي إسحاق بن إبراهيم [39] رئيس شرطة بغداد من أن الناس بقولهم القرآن غير مخلوق ضاهوا قول النصارى في عيسي ابن مريم أنه ليس بمخلوق إذا كان كلمة الله.

ولربما خشي المأمون أن يضاهي المسلمون النصارى حين يعتقدون بقدم القرآن على اعتبار أن المسيحية ترى أن الابن وهو الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس من كلمة الله الإلهية ، ومن ثّم إلوهية المسيح، ولربما توهم المعتزلة، أن القول بقدم القرآن وأنه ليس مخلوقا، إنما يترتب عليه أن يحل القرآن في نفوس المسلمين مكانه المسيح من النصارى"[40].

2) العدل :

يقصد المعتزلة بقولهم أن الله تعالى عدل هو أنه "لا يفعل القبيح أو لا يختاره ، ولا يخل بما هو واجب عليه ، وأن أفعاله كلها حسنة" . [41]

والعدل على مذهب المعتزلة أيضا هو ما يقتضيه العقل من الحكمة وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة. [42]

والحقيقة أن العدل عند المعتزلة - بناء على ذلك - أنهم يعتبرون أفعال الله كلها حسنة ولذلك ينزهونه سبحانه وتعالى عن فعل القبيح، حتى أنهم نفوا أن يكون خالقا لأفعال العباد لما فيها من قبيح، كما أنهم ينزهونه – سبحانه وتعالى – عن الإخلال بما هو واجب عليه [43] كما أنهم يرون أن الإنسان يخلق أفعال نفسه خيرها وشرها، ويستحق بناء على ذلك الثواب والعقاب، والله منزه من أن يضاف إليه شر وظلم وفعل من كفر ومعصية، لأنه لو خلق الظلم كان ظالما، فالعدل من صفات في الله. [44]

واستدل المعتزلة في إطار هذا الأصل أو المبدأ بكثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى : ﴿ **واللَّهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ** ﴾ [45] وقوله ﴿ **ولا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ** ﴾ [46] ، وبناء على ما جاء به المعتزلة في شرح مبدأ وأصل (العدل) فإنهم نفوا القدر وقالوا إن العدل يستلزم

أن لا يحاسب أحدا إلا على ما جنت يداه والله يقول: ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ [47] فهذا يستدعى أنه لم يقدر شيئا على عباده، ولم يقض عليهم بأمره في الأزل بل إن العباد مختارون لأفعالهم، أحراراً في عملها بكامل مشيئتهم وإرادتهم والإرادة الإلهية لا دخل لها بهذه الأفعال التي يقوم بها العباد، أما الآيات التي توضح أن الله هو الخالق لأفعال العباد وخالق كل شيء قد قام المعتزلة بتأويلها من ذلك قوله ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾[48]. قوله تعالى ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [49].

ويرى المعتزلة أن الناس هم الذين يقدرون إكسابهم وأنه ليس الله عز وجل في إكسابهم، ولا في أعمال سائر الحيوانات صنع ولا تقدير. [50] ، كما يري المعتزلة أيضا أن العباد يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه بالقدرة التي خلقها لهم وركبها فيهم، فيطيعوا أو يتركوا المعاصي. [51]

وقد أثارت مسألة خلق الأفعال عند المعتزلة وخصومهم مسائل عديدة منها مسألة التولد، التي ترتبط بمبدأ الجزاء والمسئولية فموضوع التولد مثل من أمثلة التملق الذي امتاز به المعتزلة وهو يعني إثبات القدرة والإرادة والاستطاعة للإنسان، ونسبة أفعاله إليه، ومن ثم اعتبار الجزاء من ثواب أو عقاب جزاء لما قدمته يد الإنسان المكلف من أعمال. [52]

3) الوعد والوعيد:

قبل التعرض لرأي المعتزلة في هذا المبدأ أو الأصل الثالث من عقائدهم أنه من الضروري توضيح معني الوعد والوعيد كما جاء في كتاب شرح الأصول الخمسة.

الوعد: وهو الخبر المتضمن إيصال النفع إلي الغير أو دفع الضرر عنه في المستقبل سواء أكان حسنا أم لا، ألا تري أنه كما يقال: إنه تعالى وعد المطيعين بالثواب فقد يقال: وعدهم بالتفضل مع أنه غير مستحق؟". [53]

الوعيد: وهو كل خبر يتضمن إيصال الضرر إلي الغير أو تفويت نفع عنه في المستقبل ولا فرق بين أن يكون حسنا مستحقا وبين أن لا يكون كذلك ألا تري أنه كما يقال: إن الله توعد العصاة بالعقاب فقد يقال: توعد السلطان الغير بإتلاف نفسه ... مع أنه لا يستحق ولا يحسن".[54]

ويقول المعتزلة في الوعد والوعيد: "إن الله صادق في وعده ووعيده، وذلك يوم القيامة، لا مبدل لكلماته فلا يغفر الكبائر إلا بعد التوبة" [55]

والمعتزلة بناء على ذلك ينكرون الشفاعة يوم القيامة ويتضح ذلك من قولهم: إذا خرج المؤمن من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب، وإذا خرج من غير توبة من كبيرة ارتكبها خلد في النار، وكان عذابه فيها أخف عن عذاب الكفار". [56]

وقال القاضي عبد الجبار: "من خالف في الوعد والوعيد وقال: إنه تعالى ما وعد المطيعين بالثواب ولا توعد لعاصيه بالعقاب، فإنه يكون كافرا" [57] وأصل الوعد والوعيد متفرع من أصل العدل، إذ تقتضي العدالة الإلهية أن تثيب الأخيار وأن تعاقب الأشرار. [58]

وملخص القول لديهم أن من أطاع الله دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، وقاموا بتأويل الآيات التي تقوي هذه الحقيقة.

4) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ورد في شرح الأصول الخمسة أن الأمر هو قول القائل لمن دونه في الرتبة أفعل، أما النهي فهو قول القائل لمن دونه لا تفعل، أما المعروف، فهو كل فعل عرف فاعله حسنه أو دل عليه، ولهذا لا يقال في أفعال القديم تعالى معروف، لما لم يعرف حسنها، ولا دل عليه. [59]

أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه على رأي المعتزلة واجب على سائر المؤمنين كل على قدر استطاعته بالسيف فما دونه ، فإن قاوموا بالسيف كان ذلك كالجهاد، فلا فرق بين الجهاد في الحرب وبين مقاومة الكافرين والفاسقين". [60]

يقول زهدي جار الله : "إن هذا المبدأ هو الذي جعل المعتزلة يضطهدون مخالفيهم ويقسون عليهم، لاعتقادهم أنهم بمخالفتهم قد أتوا منكرا، واستدل بذلك أنه حين تبين إلحاد بشار بن يرد قال واصل بين عطاء : أما لهذا الملحد الأعمى من يقتله". [61]

ويرى المعتزلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقلب إن كفى، وباللسان إن لم يكف القلب، وباليد إن لم يغتنا اللسان، وبالسيف إن لم تكف اليد لقوله تعالى: ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ** ﴾. [62] ، فالله أمر بإصلاح ذات البين أولا، ثم بعد ذلك بما يليه إلي أن انتهي إلي المقاتلة [63]. ويري المعتزلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات يقول القاضي عبد الجبار: "... وأعلم أن المقصود في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أن لا يضيع المعروف ولا يقع المنكر، فإذا ارتفع هذا الفرض ببعض المكلفين سقط عن الباقين، فلهذا قال: إنه من فروض الكفايات". [64]

5) المنزلة بين المنزلتين :

يمكن القول: إن هذا الأصل والمبدأ يعد نقطة البدء في تكوين الفكر الاعتزالي، ويري المسعودي أن المنزلة بين المنزلتين هو أن الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر ، بل يسمى فاسقاً حسب ما ورد بتسميته ، وأجمع أهل الصلاة على فسوقه ،

وبهذا الباب سميت المعتزلة وهو الاعتزال". (65)

أما صاحب كتاب التبصير في الدين - وكأنه يسخر من المعتزلة لإصرارهم على إثبات هذا المبدأ - فيقول: "ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم: إن حال الفاسق الملي منزلة بين المنزلتين لا هو مؤمن ولا هو كافر، وإن خرج من الدنيا قبل أن يتوب يكون مخلدا في النار". (66)

ومجمل القول من خلال تتبع المصادر التاريخية تلك التي عنيت بفكر المعتزلة أن مرتكب الكبيرة عند المعتزلة ليس مؤمنا، ولا كافرا، لا في الاسم ولا في الحكم ، بل في منزلة بين المنزلتين، فلا يسمي مؤمنا، ولا كافرا، وإنما يسمى فاسقا ويري القاضي عبد الجبار أنه تبعا لذلك لا يجرى عليه أحكام هؤلاء ، بل له اسم بين الاسمين ، وحكم بين الحكمين ، وبذلك يكون عذابه أقل من عذاب الكافر (67) ، وأما زهدي جار الله فيرجع اهتمام المعتزلة بفكرة المنزلة بين المنزلتين بتأثرهم بالفلسفة اليونانية، إضافة إلى ما ذكرته المصادر الإسلامية فيقول: فالمعتزلة حين دققوا على ما ذكرته المصادر الإسلامية ووقفوا ما ورد في كتب الفلسفة اليونانية ... توسعوا في فكرة المنزلة بين المنزلتين حتى جعلوا منها مبدأ عقليا أخلاقيا، وخطة فلسفية مثلى، هي خطة الاعتدال في الأمور، والتوسط بين المتطرفين، والتوفيق بين المتناقضين، وقد أمنوا بصحة هذه الخطة، وساروا في حياتهم على هديها، فتركت في تقاليدهم أثرا عظيما". (68)

وكانت مسألة خلق القرآن هي المسألة التي تركز فيها الاعتزال في زمن الخليفة المأمون . الذي بدأ في حمل الناس على القول بخلق القرآن سنة (218هـ/833م)(69)

وأحدثت هذه المسألة فتنة سميت بمحنة خلق القرآن وقد كان الخليفة المأمون مصرا إصرارا كبيرا على أن يأخذ المجتمع بمسألة خلق القرآن، وكفّر من يقول أن القرآن غير مخلوق، وأمر ألا تكتب شهادته ، فقال كل بذلك إلا نفراً يسيراً. (70)

وقد تركزت رياسة المعارضة لمسألة خلق القرآن في الإمام أحمد بن حنبل الذي تعرض لأبشع الظلم والهوان بين المأمون وحاشيته وعلى رأسهم إسحاق بن إبراهيم، ولقد رفع الله شأنه بعد ما امتحن وعظم عند الناس ، وارتفع أمره جداً (71) ، وبقي الإمام أحمد بن حنبل قوي الإيمان والعزيمة والصبر والاحتمال في سبيل ما يعتقده ، فأحتاط لدينه وصانه عن المقالات الفلسفية ومتاهات القول، فلم يرغب أن يخوض في القضية الفقهية، ورأي أن هذه من المسائل التي لا يحل للمسلم الخوض فيها والتعمق في دراستها، لأنه لم يؤثر عن السلف كلام في هذا، وهو في مسائل الدين كان رجلا لا يخوض إلا فيما خاض فيه السابقون ليهتدي بهديهم.

وعليه أدت هذه المحنة إلى انقسامات كبيرة واختلاف في وجهات النظر وقد أخطأ المعتزلة في المحنة لأنهم هدموا أعظم ركن من أركان مذهبهم وهو القول بحرية الفرد في اختيار أفعاله في الوقت الذي فرضوا فيه عقيدة خلق القرآن على الناس فرضا وأرغموهم على ذلك، ولم يقتصر الأمر على محاكمة الولاة للناس وامتحانهم في القول بخلق القرآن .

الهوامـــــــــــــش:

(1). شمس الدين محمد بن علي الدّاوودي ، طبقات المفسرين ، ج2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983 م ، ص 357 ، 358 .
(2)، أحمد بن يحيى بن المرتضى ، طبقات المعتزلة ، تحقيق : سوسنة ديڤلد ڤلزر ، مكتبة دار الحياة ، بيروت ، 1961 م ، ص18 .
(3) عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، تحقيق : محمد عثمان الخُشّت ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، 1988 م ، ص35 .
ث(4) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، تحقيق : أحمد فهمي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 1992 م ، ص42 .
(5) زهدي حسن جار الله ، المعتزلة ، مطبعة مصر، القاهرة ، 1947 م ، ص6 .
(6) الجهم بن صفوان هو الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ، ذهب القاسمي إلى أن جهماً كان من أوصى الناس على إقامة كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم ، وإن الإيمان هو معرفة الله فقط قتل سنة 128، وقيل 132 هـ، وأن قتله كان لأمر سياسي وذلك لخروجه في وجه بن أخيه وهو بهذا قد خالف جميع العلماء وقد أقر الناس في قتله لضلاله ، ينظر القاسمي ، جمال الدين ، تاريخ الجهمية والمعتزلة ، مؤسسة الرسالة ، 1995 م ، ص23.
(7) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 199.
(8) الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص 50.
(9) زهدي جار الله ، المعتزلة ، ص8 .
(10) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ، مطبعة النظهة المصرية ، الثاهرة ، 1996م ، 1995 م ، ص23.
(11) عواد المعتق ، المعتزلة وأصولهم الخمسة ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط 2 ، 1995 م ، ص23.
(12) الشهرستاني ، نهاية الاقدام في علم الكلام ، حرره وصححه : ألفريد جيوم ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2009 م ، ص118 .
(13) سورة المزمل : آية 15.
(14) زهدي جار الله، المعتزلة، ص 11.
(15) المنية والأمل ، اعتنى بتصحيحه : توما أرنلد ، دائرة المعارف النظامية ، حيدر أباد ، 1316 هـ ، ص4 .
(16) زهدي جار الله ، المعتزلة ، ص 5.
(17) ابن المرتضى ، احمد بن يحي ، طبقات المعتزلة ، تحقيق : سوسنة ديفلد فلزر ، مكتبة دار الحياة ،بيروت ،1961م ص 1995 م ، ص5.
(18) طبقات المعتزلة ، ص2 .

(19) سورة مريم ، الآية 48 .
(20) أحمد شوقي العمرجي، المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية ، مطبعة مدبولي ، القاهرة ، 2000، ص 13.
(21) عواد المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة، ص 34.
22 بشير المريسي : كان مرجعاً تنسب له الطائفة المريسية كان يقول إن السجود للشمس والقمر ليس كفراً ولكنه علامة الكفر يقال إن أباه كان يهودياً ، توفي سنة 218هـ/823م ، ينظر وفيات الأعيان ، ج1 ، ص278 .
23 ثمامة بن أشرس بن معن ، مولى من موالي بني نمير ، كان زعيم القديرية في خلافة المأمون والمعتصم والواثق ، توفي سنة 213 ، ينظر :الفرق بين الفرق ، ص172
24أحمد بن دؤاد : أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد الأيادى ، ولد بالمبصرة سنة 160هـ ، وتوفي سنة 240هـ بالبصرة ، كان فصيحاً شاعراً ، ومع ذلك كان رأساً من رؤوس المعتزلة ، وهو الذي أفتى بقتل الإمام أحمد ، وقد حبسه المتوكل العباسي ، إلى أن مرض بالفالج ومات سنة 240 هـ ، ينظر وفيات الأعيان ، ج1 ، ص81-91 .
25 الرفاعي، أحمد فريد ، عصر المأمون، ج1 ، النهضة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 2007م ، ص 360.
26 أحمد شوقي العمرجي ، المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية ، مطبعة المدبولي ، 2000 م، ص50
(27) علي بن إسماعيل الأشعري ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، ج1 ، تحقيق : محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1990 م ، (د . ط) ، ص 23 .
(28) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام ، من أهل البصرة ، يُعد من أذكياء المعتزلة ، يعد من الطبقة السادسة من المعتزلة ، توفي سنة 231هـ/942 م ، ينظر ابن المرتضى ، طبقات المعتزلة ، ص49 .
(29) الملل والنحل، ج1، ص 60 – 61.
(30) المعتزلة وأصولهم الخمسة، ص 50.
(31) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(32) الخياط ، الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد ، مرجع سبق ذكره ، ص126 .
(33) عبدالجبار احمد الهمداني، شرح الأصول الخمسة ،تحقيق : عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط3 ، 1996 ، ص126 .
(34) محمد بن عمر الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، تحقيق : علي سامي النشار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د . ت) ، ص 60 ، الشهرستاني ، نهاية الأقدام في علم الكلام ، ص 85 .
(35) الرازي ، المصدر السابق ، ص 60.
(36) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، دار صادر، بيروت، 1995 ، ص 104.
(37) الشهرستاني ، ج1 ، ص 90 ، 91.
(38) زهدي جار الله، المعتزلة ، ص 75، 76 .
(39)أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي ، الديارات ، (د . ن) ، بغداد ، 1951 م ، ص 22.
(40) أحمد علي زهرة ، بين الكلام والفلسفة عن المعتزلة والخوارج ، مكتبة نينوى ، دمشق ، 2004 م ، ص94 .
(41)عبد الجبار ، شرح الأصول الخمسة ، ص 301 .

(42) الشهرستاني ، الملل والنحل، ج 1 ، ص 37.
(43) عواد المعتق ، المعتزلة وأصولهم الخمسة، ص 153.
(44) الخياط ،ابوالحسن عبدالرحيم ، كتاب الانتصار، تحقيق:نيبرج ، 1993م،ص27
(45) سورة البقرة الآية 205.
(46) سورة الزمر الآية 7.
(47) سورة فصلت ، الآية 46.
(48) سورة الزمر ، الآية 62.
(49) سورة الصافات ، الآية 96.
(50) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص 104.
(51) أحمد شوقي العمرجي ، المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية ، ص 44.
(52) المرجع نفسه ، ص 45.
(53)عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة ، ص 134.
(54) المصدر نفسه ، ص 135.
(55) المسعودي ، مروج الذهب، ج3 ، ص 222.
(56) الشهرستاني ، الملل والنحل، ج1 ، ص 52.
(57) عبدالجبار، شرح الأصول الخمسة ، ص 125.
(58) محمد عمارة ، المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1972 م ، ص65.
(59)عبد الجبار، ص 141.
(60) المسعودي ، مروج الذهب، ج3، ص222 .
(61) زهدي جار الله، المعتزلة، ص 52.
(62) سورة الحجرات ، آية 9.
(63)عبد الجبار ، شرح الأصول الخمسة ، ص 141 ، 144.
(64)عبد الجبار ، المصدر نفسه ، ص 148.
(65) المسعودي ، مروج الذهب ، ج3 ، ص 222.
(66) الإسفرايني ، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، تحقيق : كمال يوسف الحوُت ، (د.ن) ، (د.ت) ، ص65.
(67) عيد الجبار، شرح الأصول الخمسة ، ص140 .
(68) زهدي جار الله ، المعتزلة ، ص54 ، 55 .
(69) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج8، ص 631 ، 632.
(70) جمال الدين بن تغري بردي أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج2 ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992 م ، ص266 .
(71) تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، محنة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، (د.م) ، 1987 م ، ص47 .